بسم الله الرحمن الرحيم

قوله الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده الى آخره رتب استحقاق الحمد على تنزيله
بعد الاشارة الى الاستحقاق الذاتي المستفاد من لفظة الله تنبيها على عظمته اذ به
منتظم المعاش والمعاد وهو الهادي الى ما فيه كمال العباد وقال المص التنزيل نقل الشيء
من اعلى الى اسفل وهو انما يلحق المعاني بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها فعلى هذا المعاني صح
نسبة التنزيل الى الفرقان يكون على حقيقته اذ لم يرد التنزيل بلا واسطة فما قيل انه مجاز
عقلي من قبيل الاسلوب الحكيم والكتاب الحكيم اي باعتبار انه منزل حامله او مجاز
في الطرف بان يراد بالتنزيل الايجاد في النبي او بالفرقان حامله خروج عن مذاق
المص وكيفية نزوله على ما ذكره المص ان يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا
روحانيا او يحفظه من اللوح المحفوظ وينزل به على الرسول فيلقنه وقيل
او يسماع الحروف والاصوات اما من جميع الجهات او من جهة واحدة على
خلاف العادة والتلقف الاخذ بسرعة ومعنى التلقف الروحاني ان يحصل له قرب
واتصال روحاني فيتلقف في ذاته لا من طريق السمع الكلام الذي اراد الله ارساله
الى الرسول ويلهمه بوحيه وقيل او يسمعه بلا صوت وهذا على رأي من جوز سماع وهو الاشعري
الكلام النفسي ولا يخفى انه لا يناسب المقام لان المفسر انما يبحث عن القرآن بمعنى
الكلام اللفظي ثم التنزيل والانزال واحد لا فرق بينهما في اللغة الا انه قد يراد من
التنزيل الانزال نجما نجما على سبيل التدريج باعتبار حمل صيغة التفعيل على التكثير
وهو المراد ههنا وانما آثره على الانزال اشارة الى ان نفس الانزال كما انه نعمة يجب الحمد
عليها كذلك كونه على التدريج فان تكرار الوحي ونزوله بحسب الوقائع ادخل
في تكميل العباد وتثبيتهم على الهدى وتعيير الكفار بان ما زعموه شبهة في كونه كلام الله
حيث قالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة لو كان لهم عقل لاعترفوا منه وفضلا
منه تعالى وازاحة للشبهة من حيث عرض لهم على ما يجيء في قوله تعالى وان كنتم في ريب
مما نزلنا الآية وكذا تقييده بكونه على الرسول لانه رحمة والقرآن ايضا رحمة وضم

الرحمة

وضم الرحمة الى الرحمة نافعة على العباد والفرقان مصدر فرق سمي به القرآن
لفصله بين الحق والباطل باعتبار كونه ناطقا بعقائد وحجج عربيا غير ذي
عوج مفتاحا للمنافع الدينية والدنيوية مصدقا لما بين يديه من الكتب
السماوية معجزا باقيا مر الدهور او لكونه مفصولا لا اشتباه في معانيه او مفصولا
بعضه من بعض فيناسب التنزيل فان الاعلام قد يلاحظ فيها المعاني الاصلية
وانما قدمه على قوله على عبده لكونه اهم والعناية به اتم اذ هو بصدد معاني القرآن
وتفسيره ففيه رعاية لبراعة الاستهلال بخلاف ما وقع في مفتتح سورة الكهف
من تقديم العبد على الكتاب فان المقام مقام اثبات نبوته ببيان الامور الثلثة
التي سألها اليهود عن الرسول صلى الله عليه وسلم ثم اعلاء نبوته كما ورد في شان
نزولها واضافة العبد الى الله للتعظيم والتنبيه على انه مختص منقاد لحكمه على حبيبه وانما اختاره صح
ورسوله وغير ذلك اشارة الى ان النبوة مجرد تفضل منه تعالى وان العبودية اجل
المقامات والاحوال ومن ... سواها من ثمرتها قال الشيخ السهروردي في بعض
رسائله انه خير رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرى بين العبودية والمحبوبية
فتفكر في نفسه انه ما للتراب ورب الارباب انما اللائق بحاله العبودية فاختارها
فقال الله تعالى يا محمد انك اخترت العبودية ادبا فاصطفيتك بجميع الكرامات
الانسية تفضلا فان في العبودية جميعها ولذا قدم عبده على رسوله في كلمة الشهادة
واعلم ان المص ادرج في نصف الفقرة جميع ما اورده صاحب الكشاف في صفحة منه
مع حسن الاقتباس لمفتتح سورة الفرقان ففيه اشارة الى ان كتابه بدايع وجازة
عباراته وظهور دلالته يحتوي على لب الكشاف مع لطائف زائدة عليه ومما ذكر
ظهر نكتة اختياره على مفتتح سورة الكهف قوله ليكون اي العبد او الفرقان كما صرح
المص في سورة الفرقان والاسناد على الاول حقيقي كما يدل عليه قوله لتنذر قوما
ما انذر آباؤهم وغير ذلك وعلى الثاني مجازي يشعر به قوله لتنذر ام القرى والمجاز
وان كان في مقابلة الحقيقة ضعيفا الا ان اقتضاء المقام بيان صفات الفرقان
يرجح ارجاع الضمير اليه ويخرجه عن الضعف واما ارجاعه الى الله فليس بصحيح لان اسماء الله
توقيفية ولم يرد في الشرع اطلاق النذير عليه وقوله تعالى ويحذركم الله نفسه لا يصحح

Copyright © King Saud University